أمومة الكنيسة

الكنيسة على مدار الأجيال هي «أم» ترعى مصالح أبناءها، ويهمها حياتهم الجسدية والروحية والنفسية، وأسرارها السبعة أساس إيمانها وتقواها عبر الزمن، وتاريخها شاهد على ذلك.

وعدو الخير الذي يقوم من وقت لآخر لكي يشكّك في هذا الإيمان المستقيم بشائعات وهرطقات وأكاذيب وضلالات، ودائمًا الكنيسنة من خلال آبائها وشعبها تقف حائط صدّ ضد أي انحراف إيماني أو عقيدي، لأنها لا تعرف الإيمان فقط، بل تعيشه وتحياه كل يوم.

والكنيسة المسترشدة بالروح القدس عليها مواجهة الظروف التي تتغير من زمن إلى زمن، وفي حدود ما قاله الآباء: «المسيحيون يقيمون سر الإفخارستيا، وسر الإفخارستيا يقيم المسيحين». المهم تقديم السر سواء في البيوت، في المغائر، في المقابر، في المزارع، في الكنائس... المهم السر.

جسد ودم المسيح الأقدسان، أي حضور المسيح حقيقة لا مجازًا، وهما لا ينقلا أي عدوى لأنهما سر حياة، وحاشا لمن يقول غير ذلك.

أمّا إجراءات تقديم السر فقد تغيّرت أشكالها عبر الزمان، وبقي الهدف هو إتاحة سر التناول كما هو، رغم اختلاف الوسائل والأساليب المستعملة لذلك.

لقد كانت دعوة المسيح «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١:٢٨)، وأيضًا قال: «إني أريد رحمة لا ذبيحة» (متى ١٢:٧). ليس جميع المؤمنين المسيحيين أقوياء إيمانيًا، ولكن واجب الكنيسة أن ترعاهم وتساعدهم وتخدمهم. الكنيسة لا تخدم الأقوياء في الإيمان فقط، ولكن أيضًا ضعاف الإيمان وقليلي الإيمان ومحدودي الإيمان والخطاة من كل نوع، لأن المسيح لم يأتِ ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة، وقال: «لا يحتاج الأصحاء (الأقوياء) إلى طبيب بل المرضى» (مرقس ٢:١٧).

الكنيسة تستمع إلى صرخة الإنسان الذي ينادي: «أعن ضعف إيماني»، ويجب أن تستجيب في ظل هذه الظروف الحاضرة.

وقد استقرّ في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية طريقتان لممارسة سر التناول وهما:

الطريقة الأولى: الطريقة التقليدية

والمعتادة والمعروفة في كل كنائسنا، حيث ممارسة صلوات وطقوس القداس الإلهي بأواني المذبح المُدشّنة.

الطريقة الثانية: الطريقة البديلة وهي التي تُستخدم في مناولة المرضى في المنازل أو المستشفيات، وأيضًا مناولة المساجين في السجون. وقد تُستخدم هذه الطريقة الاستثنائية في الكنيسة عندما توجد أعداد كبيرة من المتناولين مع وجود كاهن واحد فقط. ولهذه الطريقة نصوص في الخولاجي المقدس وليست بدعًا ولا خروجًا ولا انتقاصًا لقدسية السر.

وعلى نفس القياس نحن نستخدم في ممارسة السر المذبح الحجري المُدشَّن بالميرون المقدس، كما يمكن أن نستخدم أيّة مائدة خشبية أو غير خشبية ونضع عليها لوحًا مُدشَنًا بالميرون المقدس كوضع استثنائي لحين وجود مذبح ثابت ومُدشَّن، وهذا لا ينتقص من قدسية سر التناول على الإطلاق.

في زمن تأسيس السر لم يكن هناك وباء عالمي يقضي على مئات الألوف من البشر ويصيب الملايين في معظم أقطار العالم. هذا زمن مرض. هذا زمن عدوى. هذا زمن إصابات. هذا زمن يحتاج وقاية وحرص بالغ.

وفي تجربة السيد المسيح قال له الشيطان: «... إن كنت ابن الله فألطرح نفسك من هنا إلى أسفل...»، وبينما السيد المسيح يقدر أن يفعل ذلك، إلّا أنه أجاب وقال له: «لا تجرّب الرب إلهك» (لو٤:١٢).

الله ليس جاحدًا.. ولا قاسيًا.. ولا متبلّدًا.. حاشا.

الله رحيم بالإنسان ومتعطّف عليه ويرثي لحاله ولضعفه، ومكتوب: **«فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم»** (لوقا ٦:٣٦).

+ هذا زمن توبة وليس زمن كلام ومقالات... «وإن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لوقا ١٣:٥).

+ هذا زمن ندم واستعداد وليس زمن عناد وقساوة... «قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (لوقا ٢٢:٤٦).

+ هذا زمن دموع وليس زمن استعراض ومناقشات... «يا رب نجّني» (متى ١٤:٣٠).

لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها؟ (لوقا ٩:٢٥). ماذا يستفيد كل من يكتب وينشر على مواقع وصفحات التواصل الاجتماعي ويهاجم الكنيسة وآباءها وتدبيرها ويثير سجسًا وتعبًا بين الناس. غالبًا التوبة لم تعرف طريقها إليك. لك أقول: **احترس!** الموت على الأبواب، قد تُؤخذ نفسك في هذه الليلة. أبديتك أهم من أي شيء (لوقا ١٢:٢٠).

في تاريخ الكتاب المقدس نرى القديس بولس الرسول يصير ضعيفًا ليربح نُفوس الضعفاء، وبالتالي فالكنيسة كأُم تطبّق قواعد المحبة خلال هذا الزمن الطارئ من انتشار الوباء بصورة عالمية، وتستخدم الطريقة الاستثنائية (طريقة مناولة المرضى)، وهي طريقة طقسية مذكورة في الخولاجي للقمص عبد المسيح المسعودي البراموسي (١٩٠٢) بدلاً من الطريقة المعتادة والتي نرجع إليها بمجرد عودة الأحوال الطبيعية. هذا تجميد أو تأجيل للطريقة المعتادة وليس إلغاءً أو حذفًا. وهذا هو صوت الحكمة خاصة وإننا لا نعيش بمفردنا في هذا المجتمع، ويجب ألّا نكون سببًا في بلبلة أحد أو عثرة النفوس التي نحبها.

إن الدعوة لاتخاذ إجراءات وقائية نتيجة الظروف الحالية ليس خروجًا عن الإيمان إطلاقًا، وها نحن نشهد بوفيات بالمئات وإصابات بالآلاف وانتشار شديد للعدوى، والوباء تعدى إمكانيات المستشفيات والأطباء والأجهزة...

لم يعد لنا سوى طلب الرحمة من الله لكي يترأف علينا جميعًا وعلى بلادنا وكنيستنا وأبنائنا...

تواضروس

مجلة الكرازة يشرف على إصدارها: **نيافة الأنبا مكاريوس الأسقف العام بالمنيا وأبو قرقاص**
متابعة اخبارية: **المتحدث الرسمي للكنيسة القبطية** | تطبيق الأندرويد – iOS: **القمص ابراهام عزمي** | جرافيك: **القس بولا وليم** | المراجعة اللغوية: **بشارة طرابلسي** | التنسيق الداخلي: **عادل بخيت** | محرر: **بيتر صموئيل** | الموقع الإلكتروني: **ديفيد ناشد** | خطوط: **مجدي لوندي** | تصوير: **مرقص اسحاق**
المطبعة: **مطابع النوبار – العبور** – موقع مجلة الكرازة: www.alkirazamagazine.com – www.facebook.com/alkerazamagazine